المحاضرة الاولى : المولد النبوي والنسب الشريف

نبينا ρ هو ابو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدٍّ بن عدنان.

ولد ρ يتيمًا يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول من عام الفيل.

أرضعته ρ أمه ، وثويبة مولاة ابي لهب ، وحليمة بنت أبي ذؤيب السعدية، ولما بلغ ρ أربع سنوات أتاه ملكان فشقا صدره وغسلا قلبه ثم أعاداه.

الأسم الشريف

أبو القاسم: هذه كنيته ρ ، روى الحاكم في "مستدركه" أن النبي ρ قال: "أنا أبو القاسم، الله يعطي وأنا أقسم" .

والقاسم أكبر أبنائه ، مات طفلا، وقيل: عاش إلى أن ركب الدابة . ومن أسمائه أيضًا :

1). أحمد: قال تعالى على لسان عيسى بن مريم: {وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} [الصف: 6].

2). الماحي، والحاشر، والعاقب: عن جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ: أن النبي ρ قال: "أَنَا محَمَّدٌ، وَأنا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو الله بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى عقبى، وَأَنَا الْعَاقِبُ".

3) . ومن أسمائه ρ المقفي ، ونبي التوبة، ونبي الرحمة، ونبي الملحمة : عَنْ أبي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً فَقَالَ: "أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ" رواه مسلم .
والصحيح انها نعوت ليست أعلاما محضة لمجرد التعريف بل أسماء مشتقة من صفات قائمة به توجب له المدح والكمال.

النسب الشريف وفضله :

النسب أعلاه إلى عدنان هو المتفق عليه. ووقع الخلاف فيما بين عدنان إلى إسماعيل، ثم فيما بين إسماعيل إلى آدم عليهما السلام. و عن واثلة بن الْأَسْقَعِ - رضي الله عنه - قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ρ يَقُولُ: "إِنَّ الله اصطَفَى كِنانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْماعِيلَ، واصطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنانَةَ، واصطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بني هاشِمٍ، واصطَفانِي مِنْ بني هاشِمٍ" .

وقد أقر أبو سفيان وهو لم يزل على الكفر بفضل نسب النبي ρ حينما سأله هرقل عن نسبه ρ فقال: هو فينا ذو نسب .

المولد الشريف :

ولد النبي ρ يتيمًا فقد توفي أبوه وهو حمل ρ وهو الراجح. روي الإمام مسلم عَنْ أبي قَتادَةَ أن النبي -صلى الله عليه وسلم- سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ قالَ: "ذَلِكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ".

المشهور ان ذلك كان لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، من عام الفيل ، فقد روى الحاكم في "مستدركه" عن ابن عباس، - رضي الله عنه - قال: (ولد النبي ρ في عام الفيل).

وسمي بعام الفيل لوقوع حادثة الفيل المشهورة فيه، والتي قاد فيها أبرهة الأشرم ابن الصباح الحبشي، نائب النجاشي على اليمن، بفيله العظيم جيشه العرمرم لهدم الكعبة المشرفة بيت الله الحرام. ولكن هيهات هيهات، فما أن وصل أبرهة إلى وادي محسِّر بين مزدلفة ومني حتى برك الفيل وعجز عن الحركة إلا لوجهة أخرى غير وجهة الكعبة، وهنالك أرسل عليهم رب البيت طيرًا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول. وحكى الله تعالى ما نزل بهم من عذاب في كتابه العزيز فقال: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (2) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (3) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (5)} [الفيل: 1 - 5].

النبي الكريم دعوة ابراهيم وبشرى عيسى عليهم السلام :

يقول ρ "أنا دَعوةُ إبراهيمَ، وبشرىَ عيسَى، رأت أمِّي حين حملت بي كأن نورًا خرج منها أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام" .

قال تعالى على لسان ابراهيم الخليل : {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129)} [البقرة: 129].

وقال تعالى على لسان عيسى عليه السلام : {وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي} [الصف: 6].

وقد رأت أمه ρ حين حملت بي كأن نورًا يخرج منها أضاءت له قصور بُصرى من أرض الشام، وقد اختُلِف في وقت خروج هذا النور، أكان عند الحمل أم عند الولادة؟.

وفسر ابن رجب الحنبلي هذا النور بأنه إشارة إلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض، وزال به ظلمة الشرك منها، كما قال تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (16)} [المائدة: 15، 16].

ومما وقع في يوم مولده أيضًا ما رواه ابن إسحاق عن حسان بن ثابت قال: والله إني لغلام ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل كل ما سمعت، إذ سمعت يهوديًا يصرخ بأعلى صوته على أطمة يثرب: يا معشر يهود حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له: ويلك ما بك؟! قال: طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به .

الرضاعة من ثويبة مولاة أبي لهب :

لقد أرضعته ρ ثويبة مولاة أبي لهب وكان ذلك قبل ذهابه إلى السعدية. روي الإمام البخاريُّ: أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ - رضي الله عنها - قالَتْ: يا رَسُولَ الله أَنْكِح أُخْتِي بنتَ أبي سُفْيانَ، فَقالَ: "أَوَ تُحِبِّينَ ذَلِكَ؟ "، فَقُلْتُ: نَعَمْ، لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيَةٍ وَأَحَبُّ مَنْ يشارِكُنِي في خَيْرٍ أُخْتِي قالَ النَّبِي ρ : "إِنَّ ذلك لا يحل لِي"، فَقُلْتُ: فإِنّا نَحَدَّثُ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَنْكِحَ بنتَ أبي سَلَمَةَ. قالَ: "بِنْتُ أُمِّ سَلَمَةَ؟ "، فَقُلْتُ: نَعَم. فَقالَ: "واللهِ لَوْلا أَنَّها لم تكن رَبِيبَتِي في حَجْرِي ما حَلَّتْ لِي، إِنَّها لابْنَة أَخِي مِنْ الرَّضاعَةِ، أَرْضَعَتْنِي وَأَبا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ، فَلا تَعْرِضْنَ عَلَيَّ بناتِكُنَّ وَلا أَخَواتِكُنَّ".
قالَ عُرْوَةُ: وثُوَيْبَةُ مَوْلاةٌ لِأبي لَهَبٍ كانَ أبو لَهَب أَعْتَقَها فَأَرْضَعَتْ النَّبِي ρ ، فَلَمّا ماتَ أبو لَهَب أُرِيَهُ بَعْضُ أَهلِهِ بِشَرّ خِيبَةٍ، قال لَهُ: ماذا لَقِيتَ؟ قالَ أبو لَهَبٍ: لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ غَيْر أَنِّي سُقِيتُ في هَذِهِ بِعَتاقَتِي ثُوَيْبَةَ .

رضاعته ρ من حليمة : وحديثها ترويه هي فتقول : ((خرجت مع زوجي وابن لي صغير في نسوة من بني سعد بن بكر، نلتمس الرضعاء. قال: وذلك في سنة شهبًا (أي : مجدبة لا خضرة فيها ولا مطر). لم تُبصر لنا شيئًا، قالت: فخرجت على أتان لي قمراء (أي : بيضاء) ومعنا شارف (أي : الناقة المسنة) لنا، والله ما تبضُّ (أي : قطر وسال قليلًا قليلًا) بقطرة، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا، من بكائه من الجوع، ما في ثديي ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذيه، ولكن كنا نرجوا الغيث والفرج، فخرجت على أتاني تلك،

فلقد أذمَّت (أي : أبطأت وحبست.) بالركب حتى شق ذلك عليهم، ضعفًا وعجفًا، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلا وقد عُرض عليها رسول الله ρ فتأباه، إذا قيل لها: إنه يتيم، وذلك أنا كنا نرجوا المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول: يتيم، وما عسى أن تصنع أمه وجده، فكنا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعًا غيري، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعًا، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه، قال: لا عليك أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة. قالت: فذهبت إليه وأخذته، وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره، قالت: فلما أخذته رجعت به إلى رحلي، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب معه أخوه حتى روي، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا هي حافل (أي: ممتلئة لبنًا) فحلب منها فشرب وشربت معه حتى انتهينا ريًا وشبعًا، فبتنا بخير ليلة، قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تعلمي والله يا حليمة، لقد أخذت نسمة مباركة، قالت: فقلت: والله إني لأرجو ذلك. قالت: ثم خرجنا وركبت أنا أتاني، وحملته عليها معي، فوالله لقطعت بالركب ما لا يقدر عليه شيء من حمرهم، حتى إن صواحبي ليقلن لي: يا ابنة أبي ذؤيب، ويحك! أربعي (أي : أرفقي) علينا، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى والله، إنها لهي هي، فيقلن: والله إن لها شأنًا، قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضًا من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح عليَّ حين قدمنا به معنا شباعًا لُبَّنًا (أي : ممتلئة الضرع باللبن) فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم، اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعًا ما تبضُّ بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعًا لبنا. فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتان وفصلته، وكان يشب شبابًا لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلامًا جفرًا (اي : قويًا شديدًا). قالت: فقدمنا به على أمه ونحن أحرص على مكثه فينا، لما كنا نرى من بركته، فكلمنا أمه، وقلت لها: لو تركت ابنك عندي حتى يغلظ، فإني أخشى عليه وباء مكة، قالت: فلم نزل بها حتى ردته معنا)).

حادثة شق الصدر:

روى الإمام مسلم في "صحيحه": أَنَّ رَسُولَ الله ρ أَتاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ فاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقالَ: هَذِهِ حَظُّ الشَّيْطانِ مِنْكَ، ثم غَسَلَهُ في طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بماءِ زَمْزَمَ ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعادَهُ في مَكانِهِ، قالَ وَجاءَ الْغِلْمانُ يَسْعوْنَ إلى أُمِّهِ -يَعْنِي: ظِئْرَهُ-

فَقالُوا: إنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ. قالَ أَنَسٌ: وَكُنْتُ أَرَى أَثَرَ الْمِخْيَطِ في صَدْرِهِ.

قال ابن سعد: وكان عمره حينها أربع سنوات .

وروى الحاكم في "مستدركه": عَنْ عُتْبَةَ بن عبد السُّلَمِيّ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النبي ρ : كَيفَ كانَ أَوَّلُ شَأْنِكَ يا رَسُولَ الله؟ قالَ: "كانَتْ حاضِنَتِي مِنْ بني سَعْدِ بن بَكْرٍ، فانْطَلَقْتُ أَنا وابْنٌ لَها في بَهْمٍ لَنا وَلَمْ نَأْخُذْ مَعَنا زادًا، فَقُلْتُ: يا أَخِي اذْهَبْ فَأْتِنا زادًا مِنْ عِنْدِ أُمِّنا، فانْطَلَقَ أَخِي وكنت عِنْدَ الْبَهْمِ، فأَقْبَلَ طَيْرانِ أَبْيَضانِ كأَنَّهُما نَسْرانِ، فَقالَ أَحَدُهُما لِصاحِبِهِ: أَهُوَ هُوَ؟ قالَ: نَعَم، فأَقْبَلا يَبْتَدِرانِي، فأَخَذانِي فَبَطَحانِي لِلْقَفا فَشَقّا بَطْنِي، ثُمَّ اسْتَخْرَجا قَلْبِي فَشَقّاهُ، فأَخْرَجا مِنْهُ عَلَقَتَيْنِ سَوْداوَيْنِ، فَقالَ أَحَدُهُما لِصاحِبِهِ: حِصْهُ -يعني: خطه- واخَتَتَمَ عَلَيْهِ بِخاتَمِ النُّبُوَّةِ، فَقالَ أَحَدُهُما لِصاحِبِهِ: اجْعَلْهُ في كِفَّةٍ واجْعَلْ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِهِ في كِفَّةٍ، فَإذا أَنا أَنْظُرُ إلى الْأَلْفِ فَوْقِي أُشْفِقُ أَنْ يَخِرَّ عَلَيَّ، فَقالا: لَوْ أَنَّ أُمَّتَهُ وُزِنَتْ بِهِ لَمالَ بِهِمْ، ثُمَّ انْطَلَقا وَتَرَكانِي، وَفَرِقْتُ فَرَقًا شَدِيدًا، ثُمَّ انْطَلَقْتُ إلى أُمِّي فأَخْبَرْتُها بِالَّذِي لَقِيتُهُ فأَشْفَقَتْ أَنْ يَكُونَ التبس بِي، فقالَتْ: أُعِيذُكَ بالله, فَرَحَلَتْ بَعِيرًا لَها فَجَعَلَتْنِي عَلَى الرَّحل وَرَكِبَتْ خَلْفِي حَتَّى بَلَغْنا أُمِّي، فَقالَتْ: أَو أَدَّيْتُ أَمانَتِي وَذِمَّتِي، وَحَدَّثْتُها بِالَّذِي لَقِيتُ، فَلَمْ يَرُعْها ذَلِكَ، فَقالَتْ: إنِّي رَأَيْتُ خَرَجَ مِنِّي نُورًا أَضاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشّامِ".

≅ ≅ ≅ ≅ ≅ ≅ ≅